E-ISSN: 2789-3359 || P-ISSN: 2789-7834 || AIF: 0.93 || isi 2024: 1.223



الخوف من العادات والتقاليد في السرد الروائي النسوي العراقي من 2003 - 2020

Fear of customs and traditions in Iraqi feminist narrative narratives from 2003-2020

أ. محمد رمضان محمد

كلية الآداب، جامعة تكريت، العراق

أ.د. سوسن هادي جعفر

أستاذ دكتور في الأدب العربي، كلية الآداب، جامعة تكريت، العراق

Mr. Muhammad Ramadan Muhammad

Faculty of Arts, Tikrit University, Iraq

Prof. Dr. Sawsan Hadi Jaafar

Professor of Arab literature, Faculty of Arts, Tikrit University, Iraq

Email: sawsan_bayaty@tu.edu.iq

DOI :https://doi.org/10.56989/benkj.v4i7.1069

الملخص:

تعد العادات والتقاليد قيمة معنوية لكل المجتمعات، تختلف من مجتمع إلى آخر، فالذي يكون مقبولاً في مجتمع ما ربما يكون غير مرغوب به في المجتمع الآخر، وهي قوانين حضارية ودينية تسربت وحفظت من قبل المجتمع الذي اعتقد بها وآمن بصحتها، فالخوف من تلك العادات والتقاليد تجلى في السرد الروائي النسوي العراقي، فقد عبرت عنه الكاتبة بطريقة فنية جسدت فيها تلك الثيمة عبر إثرائها النصوص الروائية بطاقة إبداعية تهدف إلى ترك أثر فني في المتلقي، لأن المرحلة التي مر بها العراق بعد 2003 كانت مرحلة حرجة في تاريخه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني، وقد تناولنا في دراستنا مقدمة ثم مفهوم العادات والتقاليد ثم الخوف من العادات والتقاليد الدينية ثم الخوف من العادات والتقاليد الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الخوف، العادات، التقاليد، العادات والتقاليد، السرد الروائي، النسوية.

Abstract:

Customs and traditions hold significant value in all societies, varying from one to another. What is acceptable in one community may be undesirable in another. These practices serve as cultural and religious norms, passed down and preserved by those who believe in their validity. Fear of these customs and traditions is evident in Iraqi feminist narrative fiction, where female writers have artistically expressed this theme, enriching their novels with creative energy to leave a lasting impression on readers. The period following 2003 marked a critical juncture in Iraq's history, characterized by political, economic, social, and religious turmoil. Based on the above, the study starts with a general introduction, enlightening the major key concepts tackled along the study, including the concepts of 'Traditions and Customes', then 'Fear of these traditions and customes'. Furthemore, the study divides such concepts into; social and religious.

Keyword: Fear, customs and traditions, customs, traditions, narrative, feminist

المقدمة:

لكل مجتمع من المجتمعات عادات وتقاليد تحكم ذلك المجتمع، وهي بمثابة نظام يؤطر العلاقات بين أفراد ذلك المجتمع، وهي قوانين لا يمكن الخروج عليها أو تبديلها، فهي متجذرة في نفوس تلك الأفراد ومتمسكين بها، فهي ليست وليدة اللحظة وإنما تسربت عبر الأجيال، فهي الإرث المعنوي الذي يكسبه الاخلاف من الاسلاف، وتتباين من مجتمع إلى آخر، فالذي يكون مقبولاً في مجتمع ما، ربما يكون غير مرغوبٍ فيه في المجتمع الآخر، لأن تلك العادات والتقاليد لها جذورها الحضارية والدينية وحتى الأسطورية، فهي سنةٌ من سنن الاختلاف التي ميز الله بها خلقه، وجعل لكل فردٍ أو مجتمع ما ينماز به عن غيره، وقد شغلت تلك العادات الدارسين في العلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والدارسين للتاريخ والفلكلور وغيرهم، على اختلاف توجهاتهم العلمية، فكان لكل واحدٍ منهم رأيه، ومنهجه العلمي الذي يحاول به الوصول إلى الحقيقة حول هذا الموضوع، لأن العادات والتقاليد اصبحت بمثابة قانون من الصعب تغييره او محاولة الخروج عليه، وقد تطرق السرد الروائي النسوي العراقي إلى تلك الثيمة لما قاسته المرأة العراقية من الآم ومصائب جعلت منها كائنا مستلب الإرادة، وكان للعادات والتقاليد دور في تقييد دور المرأة وإحجامه، وتشديد الرقابة الدينية والاجتماعية عليها، فكانت النصوص الروائية بمثابة وثيقة تدون هذا التسلط.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تدور مشكلة الدراسة حول مسألة الخوف من العادات والتقاليد في السرد الروائي النسوي العراقي، وذلك خلال الفترة 2003 – 2020، وتطرح الدراسة العديد من الأسئلة ومنها:

1. يعد الخوف موضوعا اجتماعيا ونفسيا بالدرجة الاساس فكسف استطاعت الروائية العراقية أن تسحبه الى المجال الادبي عامة، والروائي على وجه الخصوص؟
2. كيف تعاملت الروائية العراقية مع ثيمة الخوف بعد الاحتلال لاسيما ما يتعلق بالخوف من العادات والتقاليد؟
3. هل استطاعت الروائية العراقية ان تحاكي الواقع وتحدد اهم العادات والتقاليد التي يمارسها المجتمع او تُفرض عليه؟

منهج الدراسة:

سعينا في دراستنا أن تكون شاملة للكثير من جوانب الخوف التي تناولته الكاتبات في الاعمال الروائية، وقد اعتمدنا المنهج التحليلي السردي وذلك لتعيننا على تحليل النصوص وتفكيك القيم الجمالية والابداعية التي تحملها، ومحاولة ربطه بالموضوع الاساس.

أهداف الدراسة:

1. الوقوف على أبرز العادات والتقاليد التي تنتشر في المجتمع العراقي– وربما تتشارك معه الدول الأخرى–.
2. ابراز آلية التعامل مع الخوف بوصفه موضوعا نفسيا واجتماعيا واشتغاله في نصٍّ روائي بصورة عامة، والرواية النسوية – مجال الدراسة بصورة خاصة.
3. الربط بين الخوف من جهة، والعادات والتقاليد من جهة اخرى يتيح للقارئ الانتقال من مجال الى آخر.
4. تحديد العوامل الاساسية التي تقف وراء الخوف من العادات والتقاليد سرديا، اي أن تحليل النص هو الذي سيحدد العامل وراء استجابة الشخصية لدوافع الخوف.

مدخل مفاهيمي في العادات والتقاليد:

للعادات والتقاليد مفاهيم لذلك ((لا يمكن إغفال د راسة العادات والتقاليد في المجتمع العربي عامة، ومجتمع الرواية بصورة خاصة، فهي التي تمنح رؤية عن ذاكرة جمعية، ومرآة عن الماضي، تعكس صورة الماضي والحاضر على حد سواء، كما أن العادات والتقاليد ناموس مؤثر في بناء شخصية الفرد، والنواة الاجتماعية الأساس، فالإنسان على ارتباط وثيق ببيئته ومجتمعه.)) [(1)]، فالعادات هي مجموعة من الأمور التي اعتدنا على فعلها منذُ الصغر، ولم نشاهدها أو نسمع بها ولكنا ورثناها من الآباء وهم قد ورثوها من الأجداد، فهي متوارثه بين الأجيال لتصبح جزءاً من عقيدتهم، وهي موروث ثقافي يضمُّ مجموعة من السلوكيات والتصورات عن العالم والانسان، وقد تكون على شكل أفعال يقوم بها الانسان أو أفكار يؤمن بصحتها ويلتزم بها، فهو يسير على نهجها، فلها ((أهمية كبيرة في تحديد هوية المجتمع فهي تملك قدسية كبيرة لدى الأفراد لأنها ترتبط بذاكرة الفرد وتعطي أهمية كبيرة للتاريخ فهي نابعة اساساً منه من ما ضٍ ابتكره الاجداد من اجل الحفاظ على ذلك التاريخ، فهي تعطي جمالية واصالة وتحافظ على التراث)) [(2)]، وهناك رؤية مهمة لعالم الفلكلور ريتشارد ديفايس عن العادات يقول: ((هناك بعض صور التعبير البسيطة او وسائل العرض التي تتكرر دائما كعناصر عادة احتفالية ابتداءً من أقدم طقوس الإخصاب او تقديس الموتى، حتى احداث عادات الأعياد التي تعرفها، فالممارسات السحرية الريفية القديمة والاحتفالات الحالية في المدن والمواكب الدينية والاجتماعية تستخدم الأشكال نفساها وعناصر العادات نفساها، أما الفارق الوحيد في ذلك فهو المستوى الثقافي التي تظهر فيه العادة المناسبة التي تستخدم

[1]. جابر، حامد يوسف (2023)، العادات والتقاليد في رواية المدينة الفاسدة، ص67.

[2]. عبد الهادي، آمنه وسالم، نجم عبد الله (2022) سلطة العادات والتقاليد في رواية الزيني بركات، ص1.

فيها))[1]، فهي بهذا تكون ظاهرة اجتماعية تتعلق بأفعال الناس وتصرفاتهم وتصوراتهم من دون رسم قالب لها أو نهج او قانون ((فتعد بمثابة هوية للأفراد والمجتمع فهي والتقاليد تشكل بصورة محددة الهوية الثقافية لأي مجتمع باعتبارها حصيلة التطور التاريخي والحضاري للأفراد و الجماعات حيث أنها تمثل "مجموعة الأنماط السلوكية التي تحتفظ بها الجماعة وترسمها تقليديا وهذا ما يميزها عن النشاط الشخصية التي يقوم بها الفرد))[2]، اذن فالعادات تدل على ما تعود الانسان فعله والمداومة علية، إيماناً من بصحة هذا الفعل، سواء كان مرفوضاً في مجتمع آخر ام مقبولا، لأن العادات تختلف من مجتمع إلى مجتمع ومن بيئة إلى بيئة، وتبرز ليس في السلوك فقط إنما في الأفكار والمعتقدات واللغة والزي وطبيعة العيش والتعامل في المناسبات.

أمّا التقاليد فهي مجموعة من قواعد السلوك التي تنتج عن اتفاق مجموعة من الأشخاص وتستمد قوتها من المجتمع، وتدل على الأفعال والاقوال التي حدثت في الماضي، وكذلك الحكم المتراكمة التي مرَّ بها المجتمع ويتناقلها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل، وهي عادات اجتماعية استمرت لحقب طويلة من الزمن حتى صارت تقليداً، ويتم أخذها من الماضي إلى الحاضر ثم المستقبل، أي أنها بمثابة نظام داخلي لمجتمع معين، فهي (عبارة عن طائفة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة، او طائفة معينة، أو بيئة محلية محدودة النطاق، وهي تنشأ من الرضا، والاتفاق الجمعي على إجراءات، وأوضاع معينة، خاصة بالمجتمع المحدود الذي تنشأ فيه)[3]، وهناك تعريف لها يرى أنها (طقوس تتوارثها الأجيال عبر الزمن لتصبح جزء من عقيدتهم، فهي بمثابة دستور لم يدون، وأحياناً تكون المادة التي تُستقى منها التشريعات والقوانين)) [4]، فهي سير على نهج الآباء والاجداد واتباع خطاهم، وهي متلازمة للعادات فلم تذكر العادات إلا وتذكر معها التقاليد، لأنهما ثنائية لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى (لأن للعادات والتقاليد سلطة اثر قوى من سلطة الدولة، فسلطة الدولة تتغير وتتبدل ويجري التعديل عليها احياناً، ولكن العادات والتقاليد ثابته ولا يمكن تغييرها، وبهذا تتراجع سلطة الدولة امامها، لأنها راسخة في نفوس الافراد المؤمنون بها، على أنها مجموعة ما يتلقاه الفرد من مجتمعه من المعتقدات والتقاليد والمعايير الفنية، وأشكال الحرف التقليدية التي لا تتأتى لهذا الفرد من نشاطه الخلاق وإنما من موروث الماضي المتناقل بكيفية واضحة او مضمرة)[5]، لذلك لم يؤثر الانفتاح الذي حصل في العراق على العادات والتقاليد إلا الشيء القليل، وذلك لأن لهذه العادات والتقاليد مكانة مهمة، فهي متجذرة في نفس المجتمع

[1]. الجوهري، محمد (1981): علم الفولكلور الأسس النظرية والمنهجية، ج1، ص122.
[2]. ذياب، فوزية (1980): القيم والعادات الاجتماعية فوزية دياب، ص10.
[3]. المصدر نفسه، ص10.
[4]. عبد القادر، الهام عبدالوهاب (2008): توظيف التراث في خطاب عمر الطالب القصصي، ص94.
[5]. لوي، روبرت (1992): تاريخ الانثروبولوجيا من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية، ص35.

العراقي ولا يمكن التخلي عنها بسهولة أو تغييرها أو تبديلها فهي بمثابة قانون لم يكتب ولم يدون توارثها الأخلاف عن الأسلاف وساروا عليها، يقيناً منهم بصحتها، فهي سلوك معنوي وعملي، وطالما كان الأدب انعكاساً للمجتمع وتبني قضاياه والغوص بها، فالسرد هو احد فروع الأدب وهو وعاء يصب فيه الأديب أفكاره وخلجاته النفسية تجاه العالم والمجتمع.

إن السرد الروائي النسوي العراقي كان مرآة للمجتمع العراقي بكل ما مرت به من أزمات، وبكل ما يحتويه هذا المجتمع من عادات وتقاليد، فالكاتبة العراقية سلطت الضوء في كتاباتها على القضايا التي تخصها وتخص مجتمعها بما يحتويه ذلك المجتمع من تغيرات انعكست كلها في كتاباتها، فالمجتمع هو المادة الخام التي تنهل منه موضوعاتها، التي تحمل همومها الشخصية او هموم ذلك المجتمع بصورة عامة، وقد تناولت القضايا المتعلقة بالعادات والتقاليد منها ما تسمى بـ (النهوة العشائرية) أو قضية غسل العار، أو ظلم المرأة ومعاملتها بدونية وقسوة، وجعلها مخلوقاً من الدرجة الثانية، أو حرمانها من التعليم وغيرها من القضايا التي همشت المرأة وجعلت منها كائناً مستلب الحرية والتفكير والإرادة، على الرغم من أن العادات والتقاليد كانت تحمل وجهين: وجه ظلم المرأة، ووجه آخر كان بمثابة حماية للمرأة وجعل لها قيمة لا يمكن المساس بها أو التعدي عليها، فالخوف من العادات والتقاليد كان ظاهراً في السرد الروائي النسوي العراقي، على اختلاف الكاتبات في تناوله وتسليط الضوء عليه، وسيتم تقسيم البحث على محورين هما:

المحور الأول: العادات والتقاليد الدينية

إذ تظهر العادات والتقاليد بصورة كبيرة في ممارسات الشخصيات وأفعالها داخل النص الروائي وقد تم توظيفها توظيفا كبيراً، أفادت منهن الكاتبات في إثراء نصوصهن الروائية، بوصفها الهوية الحضارية والثقافية للمجتمع الذي كتبنَّ عنه وصورنَّ أحداثه في أعمالهن الروائية، ففي العديد من الروايات النسوية العراقية تجلت تلك الظاهرة ومن الروايات التي تناولت هذه القضية ومنها رواية (المغتصبات) لـ (كلشان البياتي) ورواية (احببتك طيفاً) لـ (ناصرة السعدون(ورواية (تحت سماء كوبنهاغن) لـ(حوراء النداوي) ورواية (عشاق فونوغراف وأزمنة أخرى(لـ (لطفية الدليمي ورواية (الحفيدة الامريكية) لـ (انعام كجه جي) ورواية (أجمل كابوس في العالم) لـ (غادة صديق) وغيرها من الروايات.

ففي رواية الحفيدة الامريكية تقول الراوية:

((سرت إلى مهيمن ولوّحت أمام وجهه بسعفة غوايتي، وأنا اعرف أن نهايتها واخزة، ولم أكن احجب عاطفتي بل امضي وراء مسراتها التي ستتفتح رويداً رويداً على مسامات جلدي، لكن

مهيمن لم ينظر إلى فيء سعفتي، رأى اشواكها وانتفض من التوتر والارتباك والخوف وكأننا نتواطأ في إثم أجهله،

. لا يمكن مستحيل انتِ اختي بالرضاعة،

ـ واذا قلت لك إنني لا أؤمن بحكاية الرضاعة هذه؟

ـ ولو تبقين اختي في نظري))[1].

تحاول غوايته وإغراءه بحركات مثيرة، ظناً منها أنها ستوقعه في شراكها، فهي تحاول اقتحام المحظور وكسر الحاجز الذي بينهما لتسحبه إلى منطقة الخطر والممنوع والحرام، ولكن يجابهها بالرفض، ويصمد أمام عاصفة غوايتها التي تريد بها انتهاك عادة دينية تُحرم الارتباط بين إثنين قد رضعا من صدر واحد، بالرغم من محاولتها الانتقاص من هذه العادة وعدم الإيمان بها، إلا أنه يبقى ثابتاً على موقف الرفض وعدم الانكسار أمامها، ليحيلها إلى حكم يسدُّ الأبواب التي تحاول الدخول منها إليه كلها، ولو تبقين اختي في نظري، فكان الخوف من كسر هذا التابو ماثلاً أمامه، وهو خوف الاقتراب من المحرم وعدم المقدرة على هتك هذه العادة الدينية؛ لأن العرف الديني يشتبك بثقافة الشعوب وعاداتها وموروثاتها، فهذه العادة كامنه في نفس من يؤمن بها، وقد تسربت إليه من مرجع سماوي مقدس لا يمكن مخالفته.

وفي رواية (نقطة اللا رجوع) لـ (نور المفتي)، تتحدث الرواية عن فتاة اسمها اسراء تكتشف أنّ العائلة التي ربتها ليست هي عائلتها الحقيقية، وأنّها ذات جذور عراقية وجدها رجل بريطاني يدعى مايكل، حينما كان يعمل مع فرق انقاذ المهاجرين غير الشرعيين، وأن جميعهم قد ماتوا، وقرر الرجل أن يتبناها وهي صغيرة ولم يخبرها بالحقيقة إلا وهو يحتضر، فانصدمت وقررت البحث عن أهلها، فسافرت إلى العراق وانصدمت أكثر بحجم الدمار والخراب الذي خلفته الحروب في مدينة الموصل، فتنصدم بخبر أن أهلها قد هاجروا وتركوا البلاد، وهي في الرواية تسرد قضية العادات والتقاليد التي كانت عليها، تقول الراوية:

(إسراء أرجو أن لا تفهمي كلامي بشكل خاطئ نحن هنا نسكن في منطقة شعبية، ومن عادات أهل المدينة وتحديداً ممن يسكنون المناطق الشعبية تغطية رؤوسهم وارتداء الحجاب هذه العادات والأعراف ليست خاصة فقط بمدينة الموصل، بل هي عادات واعراف كل المناطق الشعبية العراقية، نحن يا ابنتي لسنا كالغرب، نحن شعب تربى على العادات والتقاليد، التي من الصعب التحرر منها فهي إرثنا الوحيد، حتى أنها تحكمنا اكثر من شرع الدين، لذا من أجلك ومن أجل أن لا تكوني محط أنظار ولئلا تلاحقك نظرات الاستهجان، خذي هذا الشال وضعيه

---

[1]. كجه جي، انعام (2010): الحفيدة الامريكية، ص130.

على رأسك، أضع غطاء للرأس!، أنا لم اغطِ رأسي يوماً، ولم يخطر ببالي أن تكون قواعد اللباس هي من يحكم على الانسان بها، ما فهمته من كلام الخالة أم حازم أن الحجاب عادة وليس عبادة، هل حقاً أن الناس تخاف من كلام الناس ومن العيب أكثر من خوفهم من الله وشرعه؟ لم أطل التفكير سأرتدي الحجاب)[1].

تتجلى في النص سلطة العادات، ويظهر مدى تجذرها في نفوس الشخصيات وقدسيتها عندهم، وقد حددت البيئة التي تتمسك بهذه العادات والتقاليد، فهي بيئة شعبية حتى أصبحت لها قيمة معنوية يصعب الانفكاك منها أو التخلي عنها، فالحجاب عادة دينية ومجتمعية خاصة بهذه البيئة، لذلك حذرت (اسراء) من عدم ارتدائه لئلا تصبح محل استهجان للآخرين، والذين يرون أن عدم ارتداء الحجاب مخالفة لهذه العادات والتقاليد، وهي بمثابة الإبحار عكس تيار ذلك المجتمع، نحن لسنا في الغرب دلالة تحمل اختلافاً في عادات وتقاليد مجتمع وتباينها عن مجتمع، وتدل على اختلاف العمق الحضاري بين المجتمعين الشرقي والغربي، ويبرز تساؤل الراوية من خوف الناس من العيب والعادات والتقاليد أكثر من خوفهم من الله سبحانه وتعالى، لذلك يمكن وصف هذا المجتمع بالوصف الذي تكلم عنه عالم الاجتماع العراقي علي الوردي إذ يقول ((طالما نحن نعيش في مجتمع فأن جل اهتمامنا وتفكيرها هو بما يوحيه لنا ذلك المجتمع، فأعمالنا تسير على أساس الإيحاء الاجتماعي الذي تلقيناه منذُ أيام الطفولة ونغرس في دواخلنا وفي عقولنا الباطنة، فنحن نمشي على خطاه ندري أو لا ندري، حتى اذا رأينا عادة تختلف عن عاداتنا اخذناها بالضحك والسخرية كأننا وحدنا أبرياء من الغفلة))[2]، في دلالة واضحة على هيمنة العادات والتقاليد الدينية على المجتمع.

المحور الثاني: الخوف من العادات والتقاليد الاجتماعية

في رواية (المغتصبات) لـ (كلشان البياتي) تقول الراوية:

((كانت تحدق ساهمة في لافتة النعي.. تحدث نفسها بصمت، وفي داخلها ثورة من الغضب واحساس بالظلم. ما الذي يحدث لها؟ ينهش عرضها السفاحون في المعتقل ويعلن الاشقاء وفاتها خوفاً من العار الذي يلحق بهم بعد خروجها من السجن))[3].

تقع البطلة بين ظلمين أحدهما أبشع من الآخر، الأول المحتل الذي سلبها شرفها وعفتها والآخر المجتمع الذي ينتظرها لينتقم منها على شيء لم يكن لها ذنبٍ في اقترافه، لتذهب ضحية

[1]. المفتي، نور (2019): نقطة اللا رجوع، ص127.
[2]. الوردي، علي (2019): شخصية الفرد العراقي، ص31.
[3]. البياتي، كلشان (2013): المغتصبات، ص30.

مستلبة الإرادة ومنهوكة القوى، فهي عند خروجها من المعتقل تتفاجأ بأن أهلها قد علقوا قطعة يعلنون وفاتها خوفاً من العار الذي يلحقهم، وهي بمثابة صدمة وانكسار لها واعلان الموت معنوياً وفعلياً، لا لشيء سوى خوفهم من المجتمع والالسن التي تحكمه العادات والتقاليد، وتقول:

((كان نوار يتكلم وهي حائرة أين تذهب وعائلتها علقوا لافتة نعيها وهذا يعني أن السكاكين جاهزة لحزّ رأسها كما يحز رأس الخروف صبيحة عيد الأضحى))[1].

وهي عادة ما يسمى بغسل العار، لكي يحق للأهل أن يجابهوا المجتمع المحيط بهم، لهذا نرى الضحية تقف حائرة عند حدود العجز الذي بات يمزق كيانها الداخلي ويستبيح مفاصل حياتها كلها، فتستكين وتستسلم مجبرة لأنواع الخيبة والإحباط بعد أن فشلت في مواجهة حاضرها غير المستقر، ومستقبلها الذي بدا مجهولا، بعد أن وقعت ضحية من ضحايا الاستلاب والقهر فتوارت أحلامها الجميلة، وفي الرواية نفسها تقول:

((هاجت سناء من الغضب: ابنتك لم تأتِ بفاحشة يا خالة اغتصبت اغتصاباً من قبلهم يجب أن يطلع العالم أجمع على أفعال هؤلاء السفلة وأن يعاقبوا على جرائمهم الاغتصاب جريمة يعاقب عليها القانون في جميع بقاع الأرض يا خالة، أرجوك اتركينا في شأننا لو وصل الخبر إلى أبناء عمومتها واقاربها فسيذبحونها من الوريد إلى الوريد نحن مجتمع عشائري))[2].

تصف الراوية في الحوار الذي دار الصحفية التي تحاول استجواب الضحية المغتصبة وبين أمها التي جابهت الاستجواب بالتكتم، ومحاولة التغطية على الموضوع خوفاً من الأقارب الذين تحكمهم عادات وتقاليد تقضي بقتل الضحية غسلا للعار، واصفةً الأمر بقولها: احنا مجتمع عشائري، وهي كلمة تحمل دلالة على التقاليد والأعراف والسنن التي تربط نسيج ذلك المجتمع وتؤطر العلاقات بين أفراده، فهي بمثابة قوانين غير مدونة، ولكنها كامنة في النفوس، والمخالف لها يعرض نفسه للمساءلة الشديدة.

أمّا في رواية (اقراط مينا) لـ(زينب الكناني) فهي رواية تتكون من ثلاثة فصول تتحدث عن قصة حياة فتاة اسمها (مينا) بطلة الرواية الرئيسية وقد خذلتها الحياة وخذلها الحب فتغربت، وعانت من الغربة، وقد كانت فتاة تحب الاقراط الكبيرة والزاهية، مرت بثلاث تجارب حبٍ، الأولى في الجامعة أحبت شخصا اسمه (عادل) وبعدها أحبت (ضياء) ثم تزوجت من (آدم) الذي يسكن السويد، وعلى يديه تعثرت حياتها ما بين خيبة الزواج الذي لم يمنحها الحب، وبين الغربة عن الوطن، وقد تطرقت إلى قضية العادات والتقاليد والخوف منها إذ تقول:

1. المصدر السابق، ص83.
2. المصدر السابق، ص110.

((تعرفت في عملها على رشا زميلة تعمل في قسم البرمجة، تتابع رسائل الماجستير للطلاب، طيبة وجمالها مختلط بعصارات العادات والتقاليد العشائرية، مرهون بإشارة ابن العم الذي حجر على حياتها، لأنها رفضته، لم يتزوج غيرها، ولكنه يتوعد ويتهدد، لو قبلت غيره، تحت مسمى (نهوة ابن العم(لم تتقبل جسارة حبيبها ورغبته المستمرة في الزواج منها، برغم أنف أهلها، يظهر استعداده لخطفها بعيداً مثل الأفلام، قولي يامينا كيف لي أن يستأنف حكماً متعسفاً، أصدرته عشيرتي، ويعيد لي حريتي بثمن حياته؟، لا اقبل عرض بطولاته لإرضائي، كيف يزج بحياته في تهلكة، سيقتلوننا حتماً إن تزوجنا.))[1].

تقف العادات والتقاليد عائقا أمام شخصيات الرواية النسائية بسبب ما يسمى بـ(النهوة) وهي ((عرف عشائري قديم جداً يقضي بمنع الفتاة من الزواج برجل غريب عن العشيرة، ويُمكّن هذا العرف ابن العم أو العم من النهي على الفتاة بغية تزويجها بأحد أقاربها))[2]، وتقول الراوية (مرهون بإشارة ابن العم الذي حجر على حياتها بعد ما رفضته.) وهي سلطة منحتها له العشيرة، ليمنع زواج بنت عمه، لكي تكون من نصيبه، ولا يحق لها الاعتراض أو الرفض لأن الرفض سيكون رفضاً للعشيرة وكسراً لكلمتها وهي سلطة تمارس على الأنثى لتسلب منها كيانها وحريتها، على الرغم من أن ابن العم لم يكن ممن تكمن لهم حباً في داخلها، لتقع (رشا) ضحية تلك العادات، (سيقتلوننا حتماً) حكماً لكل من يحاول المخالفة أو الخروج أو التمرد، فمصيرهما هو القتل.

وفي رواية الحفيدة الامريكية تقول الراوية:

((– أتمنى لو يتزوجني رجل هنا وأبقى في بغداد قطّة أنيسة تحت قدميه.

- **أنت؟ قطّة أنيسة؟**
- **حتى لو كان زواجا بالمتعة،**
- **عيب ما تقولين يا زينة، من أين لك هذا الكلام الماسخ))**[3].

السؤال الذي يُطرح من خلال الحوار: هل فعلا كلام (زينة) كان ماسخاً؟ هل وجد (مهيمن) في ما ذكرته (زينة) خروجاً عن العادات والتقاليد والحديث في المحظور الذكوري؟ فأبدى امتعاضه من ذلك الخروج، فقد ركب (الراوي)، بعد تقمصه مهمة (مهيمن) مركب المحافظ على ذلك النظام والخائف من مخالفته، إذ سمح لـ(مهيمن) أن ينهر (زينة)، ويصرخ في وجهها مقاطعاً إياها،

---

1. الكناني، زينب (2017): اقراط مينا، ص55.
2. عيد، احمد (2016): النهوة العشائرية جريمة قتل شائعة في العراق، ص6.
3. كجه جي، انعام (2010): الحفيدة الامريكية، ص134.

وموجها لها كلام (عيب ما تقولين)، فـ(العيب) هنا هو المحطة التي انطلق منها (مهيمن) إلى قطار الخوف إذا ما حاولت (زينة) خرقها له، لذلك أخذ زمام الرادع لتمردها مانعاً إياها من الخروج عن مضماره المخيف، وهو الخطوة الضاغطة التي يُرسلها كلام (مهيمن) (عيب ما تقولين)، إذ العيب هنا هو الخوف الذكوري المركوز في عقليته التي لا تقبل مثل هذا الحديث لها؛ كونها امرأة يُمنع حديثها في مثل هذه الموضوعات الذكورية ولأنهما ضمن مجتمع تحكمه العادات والتقاليد والعيب والحرام، لذلك كان الخوف من كسر هذا التابو ماثلاً أمامه.

وفي رواية (طشاري) لـ (إنعام كجه جي) وهي رواية تدور احداثها حول شخصية (وردية) طبيبة نسائية تعود أصولها إلى مدينة الموصل، ولكن عائلتها انتقلت إلى بغداد بحكم عمل اخيها الأكبر ضابطاً في الجيش، بعدها تدخل كلية الطب وتتخرج طبيبة نسائية، ويكون محل عملها في محافظة الديوانية، والرواية تنهض على الأحداث التي مرَّ بها العراق من النظام الملكي إلى ما بعد 2003 لتجد بطلة الرواية الدكتورة وردية نفسها لاجئة في فرنسا تبحث عن الأمن الذي فقدته في بلادها تقول الراوية:

((وقفت العباءات السود الثلاث في باب عيادتها في الديوانية، امرأتان وفتاة ترتدي دشداشة واسعة وتشتبك يدها على بطن منتفخ، كانت قد أقنعت أمها وخالتها بأنها تعاني من سوائل محتبسه في معدتها، فحصتها الدكتورة فحصاً خارجياً، راحت كفها اليمنى تتحسس جوف الفتاة بينما اليسرى تضغط على احشائها، إن يمناها لا تقبل الشك، أصعب موقف تمر به، التفت إلى المرأتين: هل معكم احد من رجال العائلة؟

- **لا**
- **من اهل وين؟**
- **الرميثة**

يعني عشائر وشرف وخناجر تنحر المارقات، قامت وأغلقت الباب لكي لا تسمع الفراشة الحديث وهمست للأم أن البنت حامل في شهرها الثامن، وستلد طفلاً صحيحاً خلال شهرها، كأنما المرأتان كانتا تنتظران النطق بالحكم لكي يبدأ الندب ولطم الصدور وتخميش الوجوه والتمرغ على الأرض، تنتحبان بلا صوت وتخنقان الغصات، تزحف الأم وتتشبث بساقي وردية:

((استري علينا دكتورة الله يستر عليج))

...))[1].

---

[1]– كجه جي، انعام (2013): طشاري، 162.

تصف الراوية المشهد بدقة الراوي العارف والمطلع، فهو مشهد لفتاة كسرت هذا التابو وتجاوزت الخطوط الحمراء عبر فعلتها وهي الحمل خارج نطاق الزواج ودون علم الأهل، وهذا جرم شنيع في ظل المجتمع الذي تحكمه العادات والتقاليد وملتزم بتعاليم دينية تحرم وتجرم هذا الفعل، وهو بمثابة خرق للقوانين الدينية والمجتمعية يترتب عليها احكام تصل إلى درجة القتل والتصفية الجسدية للمرتكب خاصة اذا كانت انثى لأنها تمثل شرف العشيرة وسمعتها، لذلك كانت ردة فعل الأم والخالة التي معها هي الطم وتخميش الخدود، يظهر أسلوب الجنس في العلاقة التي اقامتها الفتاة التي لم تقم وزنا للعادات والتقاليد ولا للزواج ولا لقيم ولا للعقيدة ولا لأي نوع من القيود والقوانين، إذ ثارا هي وحبيبها على العرف وعارضاه بممارستهماّ للمحرم واغتراهما الممنوع، ووصل ما الاستهتار إلى درجة أن حملت منه دون زواج، لتجعل الام تنزل على قدم الدكتورة لكي تقبلها املاً منها أن تستر تلك الفعلة الشنيعة، لأن هناك خوف من عادات وتقاليد تمنع هذا الفعل، لذا كان لسلطة العادات والتقاليد الدور البارز والأهم في تقييد سلوكيات الافراد، والرواية النسوية العراقية هي وعاء يحتوي على قضايا المجتمع العامة والخاصة تناولتها الكاتبة بصورة فنية لها دلالاتها وأثرها، وتحمل رسالة نسقية مبطنة، تقول الراوية في رواية (وجع (العناق الأخير) تقول الراوية:

((كنا فرحات مقبلات على الحياة بكل أمل..

ونحن بلهونا ذاك ودعابتنا نقهقه ونضحك

يأتي (حامد) إبن عمي الحاج ليطلق علينا صيحاته، هيي، ما بكن؟

اخفضن اصواتكن، نقهقه بهدوء)) [1].

صوت المرأة لا يمكن أن يكون مسموعاً هذه عادة عند المجتمعات التي تعده عورة، فهو الصوت المكبوت الذي لا يمكن له أن يخرج فهو عيب ويسبب الاحراج للسلطة الذكورية وتخاف أن يسمع من قبل الغرباء، لذا كانت هذه السلطة دائماً تطلب الصمت الحقيقي والرمزي، لأنها طوقت المرأة بأسوار من العادات التي لا تستطيع المرأة تسلقها او تجاوزها بسهولة، (لذا عاشت المرأة ردحاً من الزمن وهي قابعة تحت سيطرة الرجل، لا تستطيع أن تبوح بمكنوناتها وتطلعاتها ورغباتها تجاه الرجل او تجاه الأشياء الأخرى، لهذا ظلت طوال الفترة الى وقتنا الحاضر في كثير من مدن وقرى الوطن العربي تعاني من هذا الأمر في لوقت الذي ينبغي أن تكون بين الرجل والمرأة علاقة وجسور متينة من العلاقات الاجتماعية وغيرها)[2].

1. الرواز، دلة (2016): وجع العناق الأخير، ص130.
2. حسين، فهد (2016): السرد النسوي الخليجي المرأة في الرواية إنموذجاً، ص141.

رواية (اجمل كابوس في العالم) لـ (غادة صديق رسول) تدور أحداثها في إحدى قرى الموصل، حول عائلة امتهنت الزراعة، وعاشت حياة القرى البسيطة، فالأب كان همه الأكبر هو توفير لقمة العيش في ظل الحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق، والابن الأكبر كان قد وقع أسيراً في الحرب العراقية الإيرانية، فخلف بعده ابناً وبنتاً وزوجة تنتظر وتعيش على أمل أن زوجها مازال على قيد الحياة، والابن الثاني هرب خارج البلاد ليستقر فيما بعد في لندن ويتزوج وينجب اولاداً، أما الأبن الثالث فقد كان جندياً ولكنه سئم الحياة العسكرية فقرر الهروب منها، ليقع بعد ذلك بيد رجال الانضباط العسكري فيحكم عليه بقطع الأذن فتسبب له هذه الحادثة حالة نفسية شديدة تجعله ينعزل عن الأهل والمجتمع، أما أغلب أحداث الرواية فكانت تدور حول الولد والبنت اللذين كان أبوهما أسيراً، وقد تحديا الحياة بظروفها القاسية كلها، ليعود بعد عشرين عاماً من الأسر ليجدهما قد كبرا وأكملا دراستهما، تقول الراوية عن الخوف من العادات والتقاليد:

(لم يكن ثمة داعٍ لأن يتفقا على طقوس اللقاء وإن كانا قد تخيلاه مرات ومرات، لم يجهزا ثياباً جديدة لم يخفيا أياً من فوضاهما التي يجيدانها، وفي غرفتهما العالية ادمنا الوقوف ومراقبة الحديقة والطريق، وهما يشعران بالرثاء للكبش الذي حرم من متعة التجوال والرعي، وبقي مربوطاً قريباً من باب المنزل استعداداً لذبحه تحت أقدام الضيوف، الكبش الذي سيثير الرعب والخوف للعائلة الأجنبية التي لم تشاهد من قبل كبشاً تنطلق من حنجرته المذبوحة نافورة صغيرة من الدماء، وهو يذبح فرحاً بسلامة مقدمهم)[1].

تباينت في هذا النص السردي العادات والتقاليد فقد كان وصف السارد للكبش بأنه سيذبح فرحاً بقدوم الضيوف، وهي عادة للتعبير عن الاعتزاز والحب والفرح بمن أتى ضيفاً، وقد جرت هذه العادة وتناقلتها الأجيال وتعد قيمة معنوية ومادية يعبر بها المضحي بحبه للآخر، وهي بمثابة حفاوة استقبال، ولكن الآخر الذي لم تكن من عاداته وتقاليده، فقد سببت له الخوف والرعب، وهو يشاهد نافورة من الدم تتدفق من الخروف، فهي عادة لم يألفها ولم يشاهدها من قبل، فلكل مجتمع من المجتمعات عادات وتقاليد تميزه عن غيره، وتجعله مختلفا، فالذي يكون في مجتمع عيباً، أو محرماً، يمكن أن يكون في المجتمع الآخر سلوكاً عادياً مباحاً.

النتائج:

1. الخوف الاجتماعي بكل معطياته، كان دالاً سردياً، ومؤشراً جمالياً، عضّدتِ الرواية النسوية العراقية مكونات بنيتها السردية به، ودعّمت حضورها الفني بتداعياته النفسية والجسمانية، فتارة نلحظه يرفع ايقاعية السرد، ويسرع من تطور الاحداث، وتارة أخرى نلحظه، يبطئ من تراتبية

---

1. صديق، غادة رسول (2014): أجمل كابوس في العالم، ص22.

الإيقاع، ويخفف من تسريع السرد، ومثل هذه التقنيات السردية متعلقة برؤية الكاتب، وتوظيفها يتماهى مع تأملات الكاتب، لذلك نلحظ أن الروائيات اللاتي انتقينا نتاجاتهن، كُنَّ على دراية مناسبة بهذه القيمة النفسية، والقيمة الاجتماعية وأثرها في بناء الرواية، ألا وهي قيمة الخوف الاجتماعي.

2. برز في الخوف من العادات والتقاليد الدينية مدى تمسك الشخصيات بالأيدولوجيات التي يؤمنون بها، في أصبحت بمثابة عادات لا يمكن الخروج عليها او تبديلها

3. كانت للخوف من العادات والتقاليد الدينية سمة بارزة فالكاتبة مزجت بين الواقعية التي عاشتها وبين عالمها المتخيل لتنتج نصاً روائياً ذا قيمة جمالية.

4. مرحلة ما بعد 2003 اتصفت بالتقلبات السياسية والدينية وضعفت السلطة فأصبحت لتلك العادات والتقاليد السلطة الأقوى لذا أصبحت تشكل الخوف على الخوف.

5. ارتبط السرد الروائي النسوي بهموم المرأة ارتباطاً مباشراً وبالذات النفسية والاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية ولذلك لما للسرد من ميزة فنية وهو جعله يقف على أبرز القضايا التي عانت منها المرأة من ظلم واستلاب وتسلط الآخر عليها

6. استطاعت الكاتبة الولوج الى عالم الشخصيات الداخلي ورسم علامات الخوف على إيماءات الوجه وحركة الجسد وتصوير مشاهد الخوف بصورة واقعية ومتخيلة مع إضفاء السمة الفنية والابداعية للنصوص

7. تميزت لغة الرواية النسوية العراقية بالوضوح وعدم التعقيد فهي بعيدة عن التكلف وتنتقل ما بين الفصحى والعامية التي يتم اقتباس الأغاني والامثال الشعبية والشعر والحكايات منها فهي لغة مفهومة وتستطيع جميع الأوساط الثقافية أن تقرأها

قائمة المصادر والمراجع:

1. البياتي، كلشان (2013): المغتصبات، ط1، عمان: مطابع دار الأديب.

2. جابر، حامد يوسف (2023)، العادات والتقاليد في رواية المدينة الفاسدة، مجلة جامعة البعث المجلد 45، العدد 17.

3. الجوهري، محمد (1981): علم الفولكلور الأسس النظرية والمنهجية، ط4، القاهرة: دار المعارف.

4. حسين، فهد (2016): السرد النسوي الخليجي المرأة في الرواية إنموذجاً، ط1، الكويت: مسارات للنشر والتوزيع.

5. ذياب، فوزية (1980): القيم والعادات الاجتماعية فوزية دياب، ط1، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

6. الرواز، دلة (2016): وجع العناق الأخير ط2، دار سطور.

7. لوي، روبرت (1992)، تاريخ الانثروبولوجيا من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية، تر: نظير جاهل، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.

8. صديق، غادة رسول (2014)، أجمل كابوس في العالم، ط1، بيروت: دار الفارابي.

9. عبد الهادي، آمنه وسالم، نجم عبد الله (2022): سلطة العادات والتقاليد في رواية الزيني بركات، جامعة الموصل، كلية التربية الاساسية.

10. عبد الوهاب، الهام(2008): توظيف التراث في خطاب عمر الطالب القصصي، رسالة ماجستير، إشراف د. فاطمة عيسى جاسم، جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية.

11. عيد، احمد (2016): النهوة العشائرية جريمة قتل شائعة في العراق، العربي الجديد.

12. كجه جي، انعام (2010): الحفيدة الامريكية، ط1، دار الجديد.

13. كجه جي، انعام (2013): طشاري، ط1، بيروت: دار الجديد.

14. الكناني، زينب (2017): اقراط مينا، زينب الكناني، المتوسط للطباعة والنشر، ط1.

15. المفتي، نور (2019): نقطة اللا رجوع، ط1، بغداد: دار الحلاج للطباعة والنشر.

16. الوردي، علي (2019)، شخصية الفرد العراقي، ط5، بغداد: دار الوراق.